Al-Adab Journal **Issue. No (153) (June) 2025**

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

The Arabian Gulf in the Voyages of Dorati Barbarossa - Pedro Takhsira: A comparative Historical Study

Khaled Khalil Ismail Ibrahim Al hosani
Master's student in Islamic history and civilization
University of Sharjah –College of Art –Humanities and Social Sciences / UAE
U19104632@sharjah.ac.ae
Asist. Prof. Dr. Badriya Mohammed Al Shamsi (PHD)
Badreyya.alshamsi@sharjah.ac.ae
University of Sharjah –College of Art –Humanities and Social Sciences / UAE

Copyright (c) 2025 **Khaled Khalil Ismail Ibrahim Al hosani, Asist. Prof. Dr. Badriya Mohammed Al Shamsi (PhD)**

DOI: https://doi.org/10.31973/p0gadz73

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract:

The journeys of Barbosa and Takhisira to the Arabian Gulf are among the most prominent journeys that documented its economic conditions and described many of its regions. In this comparative study, we explain the differences between Barbosa's journey and Takhisira's journeys, the similar elements, how each of them addressed the reality of the Arabian Gulf, their skills, the activities they carried out in the Gulf, their travel routes, and whether it aligns with their motives or not. The study concluded a set of results that showed that Al-Takhisira was more accurate than Barbosa in many points, while unlike Barbosa, he ignored many of the areas he passed through. Thus, their writings differ from each other despite Barbosa's attempt to write about everything he heard about the regions of the Gulf.

Keywords: Hormuz - Siraf - Basra - Bahrain - Economy of the Arabian Gulf - 16th century - Portuguese occupation of the Gu

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

الخليج العربي في رحلات دوراتي باربروزا – بيدرو تخسيرا (دراسة تاريخية مقارنة)

الباحث خالد خليل إسماعيل إبراهيم الحوسني
طالب ماجستير
في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة الشارقة – الامارات العربية المتحدة
U19104632@sharjah.ac.ae

د .بدرية محمد الشامسي
أستاذ مساعد – قسم التاريخ والحضارة
الإسلامية جامعة الشارقة
الامارات العربية المتحدة
Badreyya.alshamsi@sharjah.ac.ae

(مُلَخَّصُ البَحث)

تعد رحلات دوراتي باربروزا وبيدرو تخسيرا إلى الخليج العربي أبرز الرحلات التي وثقت أوضاعه الاقتصادية ووصفت كثير من مناطقه، وفي هذه الدراسة المُقارنة نوضح الفروقات بين رحلة دوراتي باربروزا ورحلات بيدرو تخسيرا، وما هي العناصر المتشابهة، وكيف عالج كل منهم واقع الخليج العربي، وما هي مهاراتهم والأعمال التي قاموا بها في الخليج، وخط سير رحلاتهم، وهل توافق ذلك مع دوافعهم أم لا! وخلصت الدراسة لمجموعة من النتائج التي أوضحت أن بيدرو تخسيرا كان أكثر دقة من دوراتي باربروزا في كثير من النقاط، في حين أنه على العكس من دوراتي باربروزا فقد تجاهل كثير من المناطق التي مر بها، وبذلك تكون كتاباتهما مختلفة عن بعضهما بعضًا على الرغم من محاولة دوراتي باربروزا الكتابة عن كل ما سمعه عن مناطق الخليج.

الكلمات المفتاحية: هرمز – سراج – البصرة – البحرين – اقتصاد الخليج العربي – القرن السادس عشر – الاحتلال البرتغالي للخليج.

مقدمة:

نال الخليج العربي اهتمام الرحالة منذ قديم الزمن، وكان البرتغاليون يجهلونه لعدم وصول رحالة برتغاليين إليه إلّا مع السفن البرتغالية التي غزت الشرق واحتلت أجزاءً من سواحله، وكان للرحلات البرتغالية تأثيراً في البرتغال وإسبانيا لأنها تناولت الخليج العربي بشيء من التفصيل كرحلة دوراتي باربروزا ورحلتي بيدرو تخسيرا، وعندما نطلع على ما قدمه الرحالتين نجد أن هناك تشابه في مواضع قليلة، واختلافات كثيرة بما كتباه ولا سيما المواقع التي زارها كل منها، ففي حين مر كلاهما من عشرات المواقع نفسها إلّا أن بيدرو تخسيرا تجاهلها، بينما دوراتي باربروزا كتب عنها قليلًا من المعلومات، ويحاول دوراتي باربروزا أن

يكتب عن الأماكن التي لم يزرها فيفشل في نقل الحقائق، في حين أرّخ بيدرو تخسيرا للخليج آنذاك بشكل أفضل وأدق، بعدما عاين وتفحص وعايش ما كتب.

تعددت الدوافع الكامنة وراء تناول موضوع البحث ومنها المقارنة بين الرحلات التي قام بها الرحالين وعواملها وما الأثر الذي تركته ،وكذلك بيان اهميه كتابات الرحالة البرتغاليين عن وصفهم للمناطق التي تمت زيارتها في الخليج العربي ، بالإضافة الى تناول وذكر اهم الأنشطة الاقتصادية التي كان يمارسها سكان الخليج العربي أثناء مدة زيارة الرحالة البرتغاليين للمنطقة.

اعتمد الباحث المنهج في هذا البحث على المنهج التاريخي وهو الأساس للبحث وتتبع المعلومات وتبيان الحقائق وغربلتها، كذلك المنهج الوصفي الذي لا بد منه لدراسة الأوصاف التي قدمها الرحالتين.

المبحث الأول: رحلة دوراتي باربروزا:

أولًا: نشأة دوراتي باربروزا:

ولد دوارتي بتاريخ ١٤٨٠م في لشبونة بالبرتغال وتوفي في ١ مايو ١٥٢١م في الفلبين، ونشأ دوراتي باربروزا في إحدى الأسر البرتغالية ولم يكن من طبقة الأمراء (حمداني، ٢٠٠١، ص٢٢٢) ، وكان أبيه يعمل في خدمة أحد الأمراء (الدوق) البرتغاليين (أمين، ١٩٧١، ص٧-٨) ، ومع تزايد الرحلات البرتغالية إلى الشرق وحصول البرتغاليين المغامرين على كنوز كثيرة فقد بدأ الأمراء البرتغاليون يشاركون في الرحلات ويرسلون العاملين معهم فيها ومنهم دوراتي باربروزا الذي وصل إلى الهند عام (١٥٠٠م)، وعمل كمترجم وكاتب عام (١٥٠٠ – ١٥١٧م)، في حين غادر أبيه البرتغال وتبعه في رحلته عام (١٥٠١م) ضمن أسطول برتغالي، وذلك في إطار خدمة الدوق البرتغالي الذي يعمل عنده إذ كلفه بقيادة إحدى السفن، إذ كان عمل أبيه في الأساس بحاراً، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن عم دوراتي باربروزا أيضاً كان قد وصل إلى الهند قبله في إطار الرحلات المتتالية للبرتغاليين (باربروزا، ٢٠١٧، ص١١)، وما لبث عم دوراتي باربروزا أن أصبح ممثلًا للمصالح التجاريَّة للبرتغال في الهند (أمين، ١٩٧١، ص٧-٨)، في وقت كان بابربوزا قد بدأ العمل في كوشين وفي عام (١٥٠٢م) أجرى فاسكو ديجاما بعض التغييرات في المناصب الإدارية وبدّل دوراتي باربروزا بوكيل تجاري آخر حل محلهُ في كوشين، ونقل دوراتي باربروزا إلى الوكالة التجارية البرتغالية في مدينة كناكور ليعمل في وظيفة كاتب عام ومترجم[1]، وكانت تعد أضخم وكالة

[1] كان ساحل الهند الشرقي مقسمًا إلى ثلاث مقاطعات كبيرة، فكجرات تقع في الشمال، ويحكمها ملك مسلم، ومقاطعة مدراس وعاصمتها مدينة جوا، أما المقاطعة الثالثة فكانت ساحل المالابار وفيه ثلاث زعامات سياسية الأولى كاليكوت ويحكمها حاكم مسلم، والثانية كوشين والثالثة كانانور. (حنظل، ١٩٩٧، ص١٢٩).

تجارية برتغالية في الهند، واستفاد دوراتي باربروزا من وظيفته التي تتطلب التواصل الدائم مع السكان لتسيير الأمور التجارية واستطاع تعلم اللغة الماليلامية وهي لغة التواصل في كوشين وكنانور، وكان البرتغاليون أكثر ما يفتقرون لمعرفة تلك اللغة ورغبتهم الحثيثة بتعلمها وهذا ما أدى بهم لوصف دوراتي باربروزا بالنابغة (أمين، ١٩٧١، ص١٠-١٢) ، وتشير المصادر إلى أن دوراتي باربروزا قد بدأ بتعلم اللغة منذ وصل إلى كوشين (باربروزا، ٢٠١٧، ص١١).

توسعت المهام التي أنيطت بدوراتي باربروزا فأصبح يتعامل مع التجار الكبار والأمراء في البرتغال لتعيين الوكلاء التجاريين وكان أمر تعيينهم يصدر منه، فنال بذلك مكانة مرموقة في كاناكور (أمين، ١٩٧١، ص٨)، ومن مركزه في المدينة كُلف ببناء سفينتين لصالح البوكيرك (حمداني، ٢٠٠١، ص٢٢٢)، وعمل بالترجمة للقادة البرتغاليين وتطورت علاقاته فيهم ولا سيما البوكيرك (باربروزا، ٢٠١٧، ص١٢)، وفي عام (١٥١٦م) رحل إلى هرمز (أمين، ١٩٧١، ص١٢-٢٧)، بعد أن قضى ١٦ عاماً في الهند عاش فيها وسط الصراعات بين البرتغاليين والهنود ولا سيما بين عامي (١٥٠١م – ١٥٠٣م) (حنظل ١٩٩٧، ص١٣٠-١٣١).

ثانيًا: دوافع رحلة دوراتي باربروزا:

كانت دوافع رحلة دوراتي باربروزا هي الخدمة الإدارية في المجال التجاري أمّا قضائه أعوامًا طويلة في عمل إداري فقد تناسب مع اهتمامه بالكتابة والتدوين، ومن كتاباته ظهر أنه صاحب ثقافة رفيعة ثم أنه أوضح أهدافه من تلك الرحلة أنها لتحقيق الفائدة المعرفية وتسجيل أساليب وطرق التجارة فضلًا عن معرفة وتدوين ثقافات الشعوب، وكان لديه رغبة شخصية في اكتشاف طرائق وأساليب حياة السكان في الشرق المسلمين منهم والمسيحيين، وبالفعل تمكّن دوراتي باربروزا من كتابة أوصاف كثيرة شملك العديد من المناطق ومنها الخليج العربي (حمداني، ٢٠٠١، ص٢٢٣).

ثالثًا: خط سير رحلة دوراتي باربروزا:[٢]

في رحلته إلى الشرق عام (١٥٠٠م) على متن الأساطيل التجارية البرتغالية[٣] مر بالساحل الشرقي لأفريقيا، وقد مر بمملكة الكاهن يوحنا العظيم الذي يطلق عليه المسلمون اسم الحبشة، وهي كبيرة جداً وفيها العديد من الجبال الهائلة (القاسمي، ٢٠١٧، ص٣٤)

[٢] ملحق رقم (١) تبيّن الخريطة المناطق التي سلكتها الرحلات قبالة الخليج العربي وداخله.
[٣] انطلقت رحلته في ١٣ سفينة حربية مع ١٢٠٠ بحار وجندي، وكان هدف الحملة فتح مركز تجاري في الهند وجلب كميات كبيرة من البضائع وعلى رأسها التوابل. حنظل، العرب والبرتغال في التاريخ، مرجع سابق، ص١٢٨.

ووصل إلى جزيرة سوقطرى (أمين، ١٩٧١، ص٨ – ١٠) ، وتسمى أيضاً رأس فرتك وهنا يدور الساحل إلى الخليج، ويسكنها قوم سمر البشرة يقولون أنهم من المسيحيين، ويدعي المسلمون أن هذه الجزيرة كان في الماضي حكراً على الأمازونات (محاربات من عرق خرافي) ولكن تدريجياً انضم الرجال إليهن(القاسمي، ٢٠١٧، ص٤١)، وقد بدأ دوراتي باربروزا في سلك طريق الخليج العربي عندما وصل سواحل عُمان ومن هناك تبدأ مملكة هرمز (باربروزا، ٢٠١٧، ص٩١)، الذي كان يحكمها آنذاك الملك سيف الدين (وقت الغزو البرتغالي ١٥٠٧–١٥١٣) (السعدون، ٢٠١٢، ص٧٦).

وقد اعتمد في قياس المسافات على الفراسخ[٤]، وخلال رحلته نحو هرمز وصف بشكل مستفاض المسافات والانحناءات في السواحل (باربروزا، ٢٠١٧، ص٩٢)، كذلك عدد المدن والقلاع والجزر العربية، ومن المدن المهمة التي ذكرها: قلهات ووصفها بأنها مدينة مهمة وكبيرة، وهي أول مدينة يصادفها تتبع لهرمز، ووصفها بأنها مدينة تجارية ويقطنها الأثرياء من المسلمين وعلية القوم(القاسمي، ٢٠١٧، ص٦٦)، وذكر أيضاً أنه لم يكن سكان المدينة كلهم أثرياء بل هناك الفقراء الذين يقطنون بالأكواخ (خوري، والتدمري، ٢٠٠٠، ص٦٦)، وبعدها يذكر منطقة طيوي وهي من المناطق المهمة، ويتميز سكانها بالكرم (Barbosa, P 1891, ٧٥)، وتتوقف في مينائها السفن للتزود بالماء العذب، أما نقطة التوقف الثانية التي يذكرها دوراتي باربروزا كانت ذمار(أمين، ١٩٧١، ص٦٠)، وأيضاً فيها ماء عذب تتزود به السفن العابرة بالجوار، ثم يذكر مرفأ يبعد ٢٥ فرسًا عن ذمار(القاسمي، ٢٠١٧، ص٤٤)، وبعدها بمسافة ٣٠ فرسخًا يذكر مدينة قريات (باربروزا، ٢٠١٧، ص٩٢) التي تحيط بها مجموعة كبيرة من القرى (القاسمي، ٢٠١٧، ص٣١–٣٢)، وهي مدينة تجارية متوسطة الحجم وفق وصفه (عقيل، ٢٠١٥، ص٣١ – ٣٢)، وبعد قريات يبدو أن دوراتي باربروزا ومعه الأسطول البرتغالي يتوقفون في مسقط بعد الإبحار حول رأس الحد (باربروزا، ٢٠١٧، ص٩٣)، ووصفها بأنها مدينة تجارية كبيرة ومهمة (القاسمي، ٢٠١٧، ص٤٥)، ومن ثم يذكر صحار التي تبعد عن مسقط (١٠) فراسخ، وهنا يرصد في كتابه مناطق اليابسة ومنها قلعة الرستاق التابع لملك هرمز ويبعد عن المدينة (١٤) فرسخًا (باربروزا، ٢٠١٧، ص٩٣)، ويستخدم الحصن لصد هجمات القبائل من جهة اليابسة (القاسمي، ٢٠١٧، ص٤٥)، ثم يسير الأسطول إلى مدينة سماها دوراتي باربروزا أو مايل (محل (أمين، ١٩٧١، ص٦١) أو سمايل (القاسمي، ٢٠١٧، ص٤٥)، ثم يتابع أنه وصل إلى منطقة مدحاء، وهي منطقة مفتوحة يقطنها بعض السكان (باربروزا، ٢٠١٧، ص٩٣)،

[٤] الفرسخ: يساوي ٣ أميال، وهو أداة مقياس دقيقة في ذلك الزمن. الباحث.

وبعدها يتوقف في الوصف عند خورفكان ويصفها بأن غالبيتها ملكية خاصة لأثرياء تجار مملكة هرمز وفيها كثير من البساتين العامرة بمختلف الفواكه والخضراوات (أمين، ١٩٧١، ص٦١)، فضلًا عن مناعتها ومُناخها الصحي (خوري، والتدمري، ٢٠٠٠، ص٦٩)، مما جعلها مصيف خاص لهؤلاء التجار (القاسمي، ٢٠١٧، ص٤٥)، كذلك هي مركز للمؤن والحاجات الأساسية (باربروزا، ٢٠١٧، ص٩٤)، ومنها يجني الأثرياء الفواكه الطازجة (القاسمي، ٢٠١٧، ص٤٥)، وفي خط المسير إلى الجنوب الغربي وبعد منطقة دبا بـ(٨٥) فرسخًا تقع مدينة جلفار (باربروزا، ٢٠١٧، ص٩٤)، التي لم يكن الوضع السياسي فيها مستقرًا (أمين، ١٩٧١، ص٦١)، إذ كثيرًا ما تمرّد العرب وهاجموا المدينة (القاسمي، ٢٠١٧، ص٤٥).

رابعًا: وصف دوراتي باربروزا لبعض مناطق الخليج العربي والنشاطات الاقتصادية فيها:

استقر دوراتي باربروزا مدة أشهر في هرمز قبل أن يغادرها واستقصد أن يتواصل مع المرتحلين في الخليج العربي للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات، فقد وصف ساحل الخليج الشرقي بأنه عربي وفيه كثير من المدن والقرى العربية التابعة لمملكة هرمز، وكانت القلاع التي بناها ملك هرمز في تلك المواضع تتميز بوجودها وسط أراضي خصبة وذات ماء وفير بسبب عدم وجود أية زراعة أو حتى ماء عذب في جزيرة هرمز مركز الحكم (أمين، ١٩٧١، ص٥٨ – ٦٢).

وذكر دوراتي باربروزا كثير من الجزر والمناطق وأبرزها البحرين وقشم وطنب، وكوجار وقارون ولاراك، وباشيل وهندرابي وكيش (أمين، ١٩٧١، ص٥٦)، كذلك أشار لوجود مناطق في اليابسة وبعيدة عن الساحل تتبع هرمز (القاسمي، ٢٠١٧، ص٤٦)، أمّا المناطق ذات الأهمية الكبيرة في الخليج والتي يفصل دوراتي باربروزا في ذكرها فهي ما يأتي:

١ – هرمز:

يصفها بأنها من أجمل المدن وتقع على جزيرة قاحلة ولكن أهلها بنوا فيا المنازل ذات الطابقين ومناخها حار جدّاً (باربروزا، ٢٠١٧، ص١٠٢) ويستثني في وصفها ذكر الأكواخ التي يعيش فيها الفقراء، وما يميز هرمز هو أبنيتها المقاومة للزلازل (أبنية الأغنياء) في تلك المدة وفق الاكتشافات الأثرية(خوري، والتدمري، ٢٠٠٠، ص١٨–٢١) في حين يقع منزل الملك ومسكنه ضمن قصره الذي يعد من أمتن القصور من ناحية العمارة والتحصينات (باربروزا، ٢٠١٧، ص١٠٥)، كذلك يذكر مرفأ المدينة الذي يستوعب السفن التجارية الكبيرة التي ترسو فيه بأعداد كبيرة (القاسمي، ٢٠١٧، ص٥٠)، وكذلك فإن هرمز فيها شوارع عريضة تتلاقى عند جامع المدينة (خوري، والتدمري، ٢٠٠٠، ص١٧)، وفي تضاريسها

الجرداء لا يوجد سوى جبل ملحي وبعض الكبريت (Barbosa, 1891, P٩١)، والملح وهو إنتاج الطبيعة ويتميز بالبياض الناصع وسهولة الاستخراج وجودته العالية، ويذكر دوراتي باربروزا القلعة البرتغالية التي بناها البوكيرك ومدى متانتها وموقعها المهم على طرف الجزيرة (باربروزا، ٢٠١٧، ص١٠٢ – ١٠٨)، وقد مرت القلعة بمراحل بناء عدة تخللها ثورة أهل هرمز على البرتغاليين وإيقاف العمل فيها لمرات عدة (أمين، ١٩٧١، ص٦٦).

وأما الناحية الاقتصادية فقد ركز دوراتي باربروزا في وصفها لأنه عاش في المدينة لوقت من الزمن إذ وصف الحكم فيها أنه للتجار وليس للملك (باربروزا، ٢٠١٧، ص١٠٥)، وأن الملك مثله مثل كبار التجار يملك البساتين في مناطق مختلفة من مملكته (القاسمي، ٢٠١٧، ص٥٢)، ولا يميزه سوى حرسه الخاص الذين يرافقونه في تحركاته (أمين، ١٩٧١، ص٦٦).

عملات هرمز :

على الرغم من أن هرمز جزيرة قاحلة لكن المناطق التابعة لها والتجارة الغنية الواردة لها والصادرة منها جعلتها تسك العملات بمختلف أنواعها فقد تحدث دوراتي باربروزا عن العملة الذهبية الهرمزية التي سُميت (شرفي) وتساوي (٣٠٠) مرافيرس وسك منها أيضًا النصف، وشكلها مستدير وعليها كتابات عربية من الوجهين، أمّا الفضية فتساوي ٥٥ مرافيرس (باربروزا، ٢٠١٧، ص٦٦)، ووصف العملة الفضية فيها بأنها تشبه حبة الفاصولياء صغيرة الحجم (القاسمي، ٢٠١٧، ص٥٣)،في حين تعرف النقود الفضية باسم تانغا، وهي متداولة بكثرة ولا سيما مع الهند (أمين، ١٩٧١، ص٦٦)، وما لم يذكره دوراتي باربروزا كانت العملة البرونزية المسكوكة في هرمز، وقد كتب على وجهها (عدل جرون) وعلى الوجه الثاني رسمت مرساة سفينة، واستمر سك تلك العملة بين عامي (١٣٢٠ – ١٦٠٠) (خوري، والتدمري، ٢٠٠٠، ص٢٣).

المؤن والبضائع :

إن مدينة هرمز مركز المملكة وعاصمتها ولا بد من أن تتوافر فيها كل الحاجات الأساسية للمعيشة، لذلك يعدد دوراتي باربروزا كثير من الأصناف الغذائية والسلع التجارية من أقمشة وغيرها من مواد ذات قيمة مادية مرتفعة، فضلاً عن المعادن الثمينة واللؤلؤ والحرير (القاسمي، ٢٠١٧، ص٥١)، وكانت الجزيرة تصدر شيئاً واحد فقط وهو الملح (باربروزا، ٢٠١٧، ص١٠٢)، وفي تفاصيل الحياة الاقتصادية ذكر أن سبب الترف والبذخ كانت شريحة كبيرة من الضباط والجند الهرمزي يرتديون أغلى أنواع الثياب ويحملون السلاح المُطعّم بالفضة والذهب حتى أن الترس يكون مزخرف بالحرير وأوتار الأقواس من الحرير

وزنودها مطلية بماء الذهب (باربروزا، ٢٠١٧، ص١٠٤) والأهم من هذا كله أن الجند جميعهم يهتمون بهندامهم وطعامهم ولباسهم وهم في المجمل أثرياء (القاسمي، ٢٠١٧، ص٥١ – ٥٢)، ولم يكن أهل هرمز بأقل ثراء من الجند وهم يرتدون أفخر الملابس والمجوهرات التي تزينهم (عقيل، ٢٠١٥، ص٣٢)، ووفق دوراتي باربروزا فإن السكان في هرمز ليسوا جميعهم من أهلها فهناك كثير من التجار المقيمين فيها من إيران والجزيرة العربية والعراق وغيرها من المناطق (باربروزا، ٢٠١٧، ص٩٨)، ولا سيما تجار اللؤلؤ الذين يجتمعون لشرائه في هرمز (القاسمي، ٢٠١٧، ص٤٧)، لذلك فقد عمد دوراتي باربروزا إلى تقسيم التجار القاطنين في هرمز وفق أجناسهم وذكر أن للتجار الفرس مرفأ خاص ببضائعهم، وكل التجار عموماً يرفدون الخزينة الهرمزية بمبالغ مالية كبيرة نتيجة نشاطهم التجاري مع مختلف المناطق في الخليج ووصولاً إلى الهند وكانت تجارتهم في أثمن المواد وأكثرها ربحاً، فعلى سبيل المثال كانت أبرز تجارة هي تجارة الخيول التي يصل عدد المباع منها من هرمز للهند حتى الألف حصان في العام الواحد في الحالة الطبيعية (باربروزا، ٢٠١٧، ص١٠٢ – ١٠٣) وفي بعض السنوات يباع ألفين، لأن بيع الخيل مُرتبط بالحروب والمعارك آنذاك (القاسمي، ٢٠١٧، ص٥١–٥٤).

إن وجود هؤلاء التجار جعل من المدينة مدينة مرفهة حتى على بالنسبة إلى الماء الذي يشربونه فقد كانوا يبردونه قبل الشرب (القاسمي، ٢٠١٧، ص٥٢)، وكان في هرمز صهاريج كبيرة لخزن المياه(خوري، والتدمري، ٢٠٠٠، ص٢١)، وهناك شريحة كبيرة من الأثرياء يعمدون إلى غلي الماء بالفستق ثم يبردونه قبل الشرب (باربروزا، ٢٠١٧، ص١٠٤)، ولأهمية الماء فقد كانت بعض أوعية الماء التي يحملها الخدم تزين بالفضة (بشمي، ١٩٩٤، ص٣١)، ويُقصد من ذلك إظهار مكانة الشخص في المجتمع تشير لأهمية الماء (القاسمي، ٢٠١٧، ص٥٢)، ووصل الرخاء وفق دوراتي باربروزا إلى شرب المسلمين الخمر بالسر في المدينة باربروزا، ٢٠١٧، ص١٠٤– ١٠٥)، وانتشار العلاقات الجنسية الشاذة بين الأثرياء وغلمانهم المخصيين (القاسمي، ٢٠١٧، ص٥٢).

ويتابع دوراتي باربروزا وصفه لحياة السكان واقتصادهم فغالبيتهم لا يطهون طعامهم في المنازل فقد كانوا يتناولون الطعام المطبوخ والمُغلّف (القاسمي، ٢٠١٧، ص٥٢)، المقدّم في مطاعم المدينة المنتشرة فيها (أمين، ١٩٧١، ص٦٥)، أما زمر الطعام فهي الأكثر إفادة من اللحوم وحبوب القمح وأجود أنواع الأطعمة (بشمي، ١٩٩٤، ص٣١)، فضلاً عن توافر مختلف أنواع الخضراوات والفواكه الطازجة منها والمجففة والمُحلاة باربروزا، ٢٠١٧، ص١٠٤ – ١٠٥)، ومع كل ذلك كانت السلطة تتدخل في عمليات البيع والشراء وتعاقب

المخلين بضوابطها (أمين، ١٩٧١، ص٦٥)، وفي المجمل فإن الأسعار مرتفعة جدّاً مقارنة بالمواد ذاتها التي تباع خارج مدينة هرمز (بشمي، ١٩٩٤، ص٣١)، وربما ذلك يعود لوجود الأثرياء فيها وفرض السلطة ضريبة على كل ما يباع فيها(القاسمي، ٢٠١٧، ص٥٢).

٢- البحرين :

ذكر دوراتي باربروزا جزيرة البحرين بأنها من الجزر المهمة وبأن فيها تجار مسلمين، وبأنها قريبة من أراضي الجزيرة العربية ولا تبعد عنها سوى فرسخين (أمين، ١٩٧١، ص٥٦)، لكن مياهها ليست عذبة بل فيها بعض الملوحة (خوري، والتدمري، ٢٠٠٠، ص٥١)، وشطآنها ملائمة لنمو المحار من مختلف الأحجام (القاسمي، ٢٠١٧، ص٤٧)، ويركز دوراتي باربروزا على مدينة المنامة على أنها البحرين ككل بخلاف الواقع أن الجزيرة فيها المدينة ومجموعة من القرى (باربروزا، ٢٠١٧، ص٩٨)، ومن الناحية الاقتصادية فإن دوراتي باربروزا يذكر وجود كثير من التجار فيها وبانها تستقطب العديد من السفن التجارية (القاسمي، ٢٠١٧، ص٤٧)، وبان مصائد اللؤلؤ حولها تستقطب التجار، بغرض التسوق والحصول على اللؤلؤ النفيس، وبسبب ذلك رفدت البحرين مملكة هرمز بمبالغ مالية كبيرة عندما كانت تتبع لها (أمين، ١٩٧١، ص٥٨) ، ومن جانب آخر أدت ملوحة التربة إلى إنتاج أنواع جيدة من التمور التي كانت تصدر منها لهرمز (خوري، والتدمري، ٢٠٠٠، ص٥١).

٣- رأس الخيمة :

ذكرها بأنها في الجزء الداخلي من الخليج، وبأنها من المدن المهمة وتبعد عن جلفار مسافة ٢٤ فرسخًا، أمّا أم القوين: ذكرها بمعرض الحديث كما ذكر حصن كلباء (باربروزا، ٢٠١٧، ص٩٤)، ويتبع لملك هرمز وله وظيفة الدفاع عن المنطقة الساحلية من غارات العرب القادمين من الداخل (خوري، والتدمري، ٢٠٠٠، ص٢٥).

٤- البصرة :

وعند بدء حديثه عن البصرة فإنه ينقل ما سمعه ولا يقدّم أوصافًا دقيقة لها سوى وجود قلعة تتبع للصفويين فيها ويمر بها نهر الفرات العذب (باربروزا، ٢٠١٧، ص١٠١)، في حين يبدي اهتمامًا باقتصادها إذ يذكر أنها تستقبل سفن كثيرة مليئة بالمنتجات والأقمشة القطنية وكذلك مختلف أنواع التوابل والحبوب وزيت السمسم وغيرها من المواد (خوري، والتدمري، ١٩٩٩، ص٦٧)، ويعمل التجار فيها على مقايضة البضائع المختلفة فيما بينهم (حمداني، ٢٠٠١، ص٢٢١)، كذلك يصطاد أهلها السمك النهري ويبيعونه، ولكنه ليس بجودة السمك البحري وفق رأيه، وبعد البصرة يبدأ دوراتي باربروزا بتعداد المناطق الساحلية

في الخليج ويخلط بين المناطق شرق الخليج وغربه، ولكنه يصيب في بعضها مثل باسيدو إذ يصفه بالمكان الغني وفيه تجار أثرياء ويوظف فيه ملك هرمز جامعي الضرائب، أيضًا يذكر بوشهر، ونيباند التي يتوافر فيها الماء العذب الذي ينقل لجزيرة هرمز (القاسمي، ٢٠١٧، ص٤٦، ٥٠-٥١) بواسطة طرادات صغيرة سريعة الحركة، تنقل أيضاً الخضار والفواكه واللحوم (أمين، ١٩٧١، ص٦١)، وبعد نيباد يذكر مباشرة قرية بندر ومجموعة من القرى، لينتقل في وصفه إلى القطيف (القاسمي، ٢٠١٧، ص٤٦)، ويحدد موقعها في منتصف المسافة على الساحل الغربي للخليج (خوري، والتدمري، ٢٠٠٠، ص٥٥) وعلى العموم وبسبب تداخل المناطق على دوراتي باربروزا وعدم يقينه عنها فإنه يكتب عنها أن أهلها محترمون وأصدقاء للبرتغاليين (أمين، ١٩٧١، ص٦١).

٥- قشم :

يذكر بربوزا جزيرة قشم باهتمام وبان فيها ثمان بلدات والعديد من المزروعات وأنواع الحيوانات (أمين، ١٩٧١، ص٥٦)، وتتميز التربة فيها بالخصوبة العالية (القاسمي، ٢٠١٧، ص٤٧)، مما يجعلها مخزن للمؤن الغذائية لمملكة هرمز (باربروزا، ٢٠١٧، ص٩٨)، وما يساعد على ذلك عمل جزء كبير من سكانها بالزراعة (أمين، ١٩٧١، ص٦٣)، كذلك كان ملوك هرمز يذهبون إليها للاستجمام والصيد (خوري، والتدمري، ٢٠٠٠، ص٨٩).

المبحث الثاني: رحلات بيدرو تخسيرا:

أولًا: نشأة بيدرو تخسيرا:

تشير بعض المراجع إلى أن احتمال تاريخ ولادة بيدرو تخسيرا كان عام (١٥٧٠م)، وهو ابن أسرة يهودية عاشت في لشبونة ولكنه لم يظهر أنه يهودي بل أعتنق المسيحية، وربما ذلك كان من مبدأ التستر الديني (غازي، ٢٠٢١، ص٩٤)، الذي كان ضروريًّا لتوفير الحماية له على متن الأساطيل البرتغالية التي تحمل الشعارات الصليبية (حمداني، ٢٠٠١، ص٢٢٨)، وبعض المراجع تشير أنه كان على المعتقد اليهودي ولكن استمر بإظهار المسيحية، وفي كتابه يتبين أنه ملتزم بالتعاليم الكاثوليكية التي كانت منتشرة في البرتغال (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٨).

منذ مراحل عمره المُبكرة أظهر بيدرو تخسيرا محبة للتاريخ (حمداني، ٢٠٠١، ص٢٢٨)، وفي حالة أن ولادته كانت عام (١٥٧٠م) فإنه قد ارتحل إلى الشرق وعمره (١٦) عامًا في غاية تاريخية، إذ كانت رغبته كبيرة في دراسة التاريخ الفارسي، إذ خلال رحلته إلى الخليج تعلم اللغة الفارسية وترجم منها وكتب عن الفرس وجزيرة هرمز (غازي، ٢٠٢١،

ص٩٥)، ولم يكتفي بيدرو تخسيرا بالكتابة عن تاريخ فارس وهرمز بل أنه كتب ما شاهده خلال رحلاته لبعض المناطق المُنتقاة مثل ملقا (Teixeira,1902, P٢)، وقد كانت دوافع بيدرو تخسيرا حقيقية وألف كتابه الأول بعد عودته إلى إسبانيا بعنوان: "رواية بيدرو تخسيرا عن أصل ملوك الفرس وملوك هرمز وتعاقبهم ورحلة المؤلف نفسه من الهند الشرقية إلى إيطاليا عبر الطريق البري" وكان كتابه إضافة مهمة لتاريخ المناطق التي كتب عنها، إذ كتب عن تاريخ فارس بإسهاب وكذلك هرمز وأضاف رحلته وتجاربه (غازي، ٢٠٢١، ص٩٩-١٠١).

ثانيًا: دوافع رحلات بيدرو تخسيرا:

كانت رحلات بيدرو تخسيرا إلى الشرق اثنتين، الأولى (١٥٨٦م) بغرض كتابة التاريخ والثانية (١٦٠٤م) وهي الأهم لدراستنا هذه وكان دافعها استرداد مبالغ مالية كان قد أمنها مع أحد أصدقائه ليرسلها بالنيابة عنه إلى البرتغال، ولكنها لم تصل فعاد إلى الهند عام (١٦٠٣م) وحصل أمواله وقرر العودة عن طريق الخليج العربي في رحلته الثانية(تخسيرا، ١٩٩٦، ص٢٧).

ثالثًا: خط سير رحلات بيدرو تخسيرا:

مر بيدرو تخسيرا في رحلته الأولى (١٥٨٦م) إلى الهند على مسقط وهرمز ولكنه التزم بالبقاء مع الأسطول البرتغالي ولم يبقَ هناك (غازي، ٢٠٢١، ص٩٦ – ٩٧)، ويعود ذلك إلى الظروف الطارئة التي حلت بالبرتغاليين في الشرق عمومًا ولا سيما الأخطار العثمانية والهولندية والبريطانية (عوض، ١٩٩١، ص٤٩)، فقد كان البرتغاليون يحضرون مواقعهم للدفاع في وجه القوى الثلاث الكبرى آنذاك (تومانوفيتش، ٢٠٠٦، ص٨٩ – ٩٠).

وأما رحلته الثانية للخليج (١٦٠٤م) فقد كانت بغرض تكليفه ببناء قلعة في مسقط ولكن الرحلة كانت مليئة بالمخاطر العسكرية وعادت إلى الهند باكرًا، ولا سيما مع تعاظم موجات العِداء ضد البرتغاليين في مختلف المناطق، فالأسطول الذي كان فيه بيدرو تخسيرا وصل لمسقط وهرمز ومياه الخليج وعاد أدراجه إلى الهند عام (١٥٨٧م) من دون أن يحقق بيدرو تخسيرا الهدف من رحلته (تخسيرا، ١٩٩٦، ص١٢ – ١٤).

وانتظر بيدرو تخسيرا حتى عام (١٥٩٣م) ليستطيع الذهاب إلى هرمز والإقامة بها أربع سنوات، وهنا كانت رحلته المهمة بالنسبة له في كتابة التاريخ الفارسي ونقل الأحداث التي كانت تجري في هرمز (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٢٥) حتى أنه وضع خريطة للمملكة وكانت نسبية الدقة (أوبان، ٢٠١٩، ص١٣٥)، وأنهى رحلته عام (١٥٩٧م) بزيارة شمال فارس،

قبل أن يعود إلى الهند (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٢٥)، في إطار الخطط البرتغالية للتصدي للهولنديين (المريطب، ٢٠١٠، ص٥٣).

أما رحلته الثانية (١٦٠٤م) إلى الشرق فكانت بسبب أمواله، فكانت بالغة الأهمية في تاريخ الخليج العربي (غازي، ٢٠٢١، ص٩٧ – ٩٨)، ولا سيما أنه قرر العودة عن طريقه باتجاه بلاد الرافدين وبلاد الشام، وكانت بداية رحلته الرابعة إلى الخليج في ٩ فبراير عام (١٦٠٤م) وكان في تلك الرحلة السريعة يدون الأحداث التي مر بها بشكل شخصي ويصف مختلف المناطق من رأس الحد وحتى البصرة (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٢٩)، وعلى الرغم أن المناطق التي زارها في شمال الخليج العربي ومر بها كانت خارج سلطة البرتغاليين إلا أن البرتغاليين كانوا لا يزالوا متماسكين (اندرادي، ١٩٩٦، ص٩)، ولديهم قلاع تنتشر على جانبي الخليج العربي (النغيمشي، ١٩٩٢، ص١٥٩ –١٦٠).

انطلق بيدرو تخسيرا في رحلته داخل الخليج العربي من هرمز ووصل لار[٥] أو الشيخ شعيب، وقام بيدرو تخسيرا بمحاولتين حتى استطاع عبور الخليج[٦]، من جهته الشرقية، بعد فشل محاولته الأولى في عبوره من غرب جزيرة قشم (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٢٩)، حيث مر بمياه كاني[٧] وبعدها حصن ريشل الشهير بالوفرة والنوعية الجيدة من الخبز والفاكهة والخضار في أراضيه. إنه تابع للشاه، ملك فارس، الذي يقوم الحصن على ساحله، بحامية جيدة (إيبش، ٢٠١٩، ص١٦٥). ودون ملاحظاته عن منطقة الخليج العربي من قلاع وحركة اقتصادية واجتماعية والمواد التموينية المتوافرة (Teixeira,1902, P ٢٤))، وذكر أن تجار تلك المناطق يحتاجون لتصاريح من البرتغاليين ليتمكنوا من مزاولة تجارتهم (غازي، ٢٠٢١، ص١٠٢ – ١٠٣)، أما السكان في العموم فكانوا يهابون البرتغاليين ولا يثقون بهم (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٧٣)، وذلك نتيجة سوء تصرف البرتغاليين وبطشهم بهم (Teixeira,1902, P ٢٤))، وخلال رحلته يذكر بيدرو تخسيرا المناطق الضحلة في مياه الخليج (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٧٢ – ٧٣)، وكثير من المناطق المأهولة ومنها جزيرة خرج التي تبعد تسعة أميال عن الشاطئ (Teixeira,1902, P ٢٤))، وقضى في تلك الجزيرة

---

[٥] جزيرة لار: وهي جزيرة متطاولة طولها ١٣ ميلًا وعرضها ٢.٥ ميل، وفيها أكثر من قرية، وكذلك مغاص للؤلؤ، وتبعد عن الساحل من الجنوب ١١ كم، وتبعد ٢٤ كم عن هندرابي. خوري والتدمري، سلطنة هرمز العربية - سيطرة سلطنة هرمز العربية على الخليج العربي، مجلد٢، مرجع سابق، ص٥٤.

[٦] شط العرب: يتشكل في الجنوب العراقي من التقاء نهر دجلة والفرات في منطقة تسمى القرنة، ويصب في الخليج العربي عند منطقة تسمى الفاو، وطوله ٢٠٤ كلم، وعرضه بين ٤٠٠ - ١٣٠٠ متر، وهو صالح للملاحة. خوري والتدمري، سلطنة هرمز العربية - سيطرة سلطنة هرمز العربية على الخليج العربي، مجلد١، ص٥٧.

[٧] تقع كاني إلى الغرب من جزيرة قشم على ساحلها الجنوبي، المصدر: الخليج العربي من خلال نصوص الرحالين والمؤرخين البرتغاليين، دراسة وترجمة: أحمد إيبش.

أربعة أيام إذ فيها ميناء يحمي من الرياح الشديدة وفيها ماء عذب (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٧٣).

عندما يصل بيدرو تخسيرا إلى بندر ريخ تصبح رحلته مليئة بالصعوبات ولا سيما بظل وجود منطقة عرضها أربعة فراسخ وضحلة المياه، وعلى الرغم من كل الحيطة والحذر إلّا أن السفينة كادت تتحطم (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٧٤)، فالمسار الذي اختاره الملاح فيه صخور تطفو على وجه المياه لمسافة حتى ٩٠ كم عن البر الرئيسي (تومانوفيتش، ٢٠٠٦، ص٦١)، ولم يهمل بيدرو تخسيرا وصف ما شاهده من البر من جبال ومناطق قرب الساحل (Teixeira,1902, P ٢٥))، وكذلك الأنهار التي تجتاز تلك المنطقة وتصب في الخليج العربي (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٧٣- ٧٤)، وبعد كل تلك الصعوبات وصل إلى شمال الخليج العربي إلى شط العرب وتحديدًا إلى القرنة في ١ آب من نفس العام، وتابع بيدرو تخسيرا الإبحار ووصل إلى سراج جنوب العراق (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٧٤ - ٧٦)، وكان دخوله إلى شط العرب عن طريق الإبحار فيه (Teixeira,1902, P ٢٧))، حيث أنها آخر نقطة في بلاد ما بين النهرين (الرافدين) التي تقد بينهما، على بعد رحلة ثلاثة أيام ما فوق البصرة، حيث أن السهول الشمالية أو الفارسية هي بحوزة مبارك بن مطلب، حاكم إمارة عربستان (إيبش، ٢٠١٩، ص١٦٧). إذ بقي هناك خمسة أيام نقل خلالها حمولة السفينة من سراج إلى البصرة (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٢٩)، وبوصوله إلى البصرة يكون قد أنهى رحلته الأخيرة في الخليج العربي التي دامت شهر ونصف (غازي، ٢٠٢١، ص٩٨).

رابعًا: وصف بيدرو تخسيرا لبعض مناطق الخليج العربي والنشاطات الاقتصادية والاجتماعية فيها:

اهتم بيدرو تخسيرا بكتاباته عن تاريخ هرمز أكثر من اهتمامه عن الكتابة بتفاصيل الحياة فيها على الرغم أنه عاش فيها أربع سنوات واكتفى بذكر أهمية مدينة هرمز وبأنها ملتقى التجارة القادمة من مختلف المناطق واستمر بذكر سوء تصرف البرتغاليين وعدم محبة السكان لهم (الربيعي، ٢٠١١، ص٨٨)، كذلك كتب عن شريحة التجار الكبار والثراء الفاحش الذي يتمتعون به، وأن الجزيرة ليس فيها ماء وينقل ويخزن فيها، وككل برتغالي رحالة ركز على توافر المؤن في هرمز ومصادرها (خوري، والتدمري، ٢٠٠٠، ص٨١، ٩٠)، وانتقل للحديث عن الخليج عموماً وصيد الأسماك بكثرة فيه (حمداني، ٢٠٠١، ص٢٢٨)، وفي الواقع فهي حرفة مهمة في الخليج ولا سيما تجفيف الأسماك وإعادة تصديرها (تومانوفيتش، ٢٠٠٦، ص٦٣)، وأبرز ما ذكره بيدرو تخسيرا أن القاطنين على

جانبي الخليج العربي على الساحل الشرقي والغربي هم من العرب (غازي، ٢٠٢١، ص١٠١).

أسهب بيدرو تخسيرا في الحديث عن صيد اللؤلؤ في مختلف مناطق الخليج العربي، وذكر أرقاماً مرتفعة لعدد السفن العاملة بهذه الحرفة إذ قال أن هناك (٤٥٠٠) سفينة صيد لؤلؤ يعمل فيها (٣٠) ألف غاطس، كذلك وصف مظاهر وعادات وتقاليد صيد اللؤلؤ وما يتخللها من البهجة والسرور (غازي، ٢٠٢١، ص١٠١ – ١٠٢)، فقد كان أهل الخليج يهتمون بموسم صيد اللؤلؤ لأهميته البالغة في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية فهو أحد أبرز موارد الرزق (العطية، ٢٠٠١، ص٤٨ –٤٩).

ثم كتب بيدرو تخسيرا عن مراحل العمل في صيد اللؤلؤ وكيفية تسويقه وأبرز مناطق الصيد في البحرين وجلفار ومسقط (الدرورة، ٢٠٠١، ص١٢٦)، وكذلك شروط صيد اللؤلؤ والأعماق المطلوبة للغوص (العطية، ٢٠٠١، ص٤٩)، وبعد ذلك يقارن بين الغوص في سيلان وفي الخليج العربي ويبيّن أن السفن في سيلان أكبر حجمًا بكير فهي تتسع حتى (٩٠) بحارًا وعددها لا يتجاوز (٥٠٠) سفينة، كذلك يشير إلى مساهمة البرتغاليين في حماية موسم الغوص حتى الانتهاء من تسويقه، ويدون بيدرو تخسيرا شروط صيد اللؤلؤ والقوانين العُرفية الموضوعة على الصيد ومراحله وكمياته (الدرورة، ٢٠٠١، ص١٢٦ – ١٢٧)، وأوقاته في اليوم ولا سيما عدد الساعات التي يجري في الغوص (العطية، ٢٠٠١، ص٥٠)، وعدد الأفراد على كل سفينة غوص (غازي، ٢٠٢١، ص١٠٢).

كذلك ذكر أن البرتغاليون كانوا يعمدون إلى ابتزاز أصحاب سفن الصيد والقائمين على العمل ويفرضون عليهم أنواع شتى من الأتاوى (الدرورة، ٢٠٠١، ص١٢٧)، مما أدى إلى نقمة أهل الخليج عليهم وكرههم لهم، وذلك ناتج عن الأخطار الكبرى للصيد التي تهدد حياة الغواصين حتى يحصلوا على لقمة عيشهم (العطية، ٢٠٠١، ص٥٠)، ولا سيما بعد منع البرتغاليين أهل الخليج من بيع اللؤلؤ إلّا عن طريقتهم وتحت إشرافهم وبضريبة بلغت (٤%) من قيمة المُباع منه (الدرورة، ٢٠٠١، ص١٢٧)، ولم يكتفِ البرتغاليون بهذا بل مارس على سبيل المثال ممثلهم في البحرين ابتزازاً ومضايقات على الغواصين والتجار لسرقة اللؤلؤ منهم فنشطت عمليات التهريب هربًا من شجع البرتغاليين (غازي، ٢٠٢١، ص١٠٢)، ويتحدث بيدرو تخسيرا إلى أهمية البحرين وميناؤها في تلك التجارة وتوفيرها أموال هائلة للبرتغاليين (الربيعي، ٢٠١١، ص٨٨).

أما حديثه عن بقية مناطق الخليج العربي فقد تركزت على الجنوب العراقي (حمداني، ٢٠٠١، ص٢٢٩)، ولا سيما سراج التي كانت مركزًا لتفريغ وتحميل السفن بمختلف

المنتجات التي تنقل منها إلى البصرة (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٧٦)، وفي سراج قلعة بُنيت للتصدي للهجمات التي كانت تأتي من البر Teixeira,1902, P ٢٨))، في حين انتشرت القلاع على طول الطريق النهري نحو الشمال لتوفير الحماية للقوافل التجارية (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٧٦)، وكان توافر المياه العذبة من شط العرب يوفر البيئة المناسبة لكثير من المزروعات وكذلك هناك كثير من الحيوانات ولا سيما المائية منها كالطيور بمختلف أنواعها Teixeira,1902, P ٢٨ –٣٠))، وكانت معظم الحاجات الأساسية في تلك المناطق تُعرض رخيصة بالنسبة للمناطق التي مر بها بيدرو تخسيرا، ولا سيما الغذاء المتوافر بكثرة هناك (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٧٥)، وقد اهتم بيدرو تخسيرا في نقل الواقع الاقتصادي للبصرة خلال بقائه فيها ريثما تسنى له الالتحاق بإحدى القوافل التجارية نحو بغداد (حمداني، ٢٠٠١، ص٢٢٩)، إذ كانت تشكل قوة اقتصادية تربط بلاد الشام وبغداد بالخليج العربي (الربيعي، ٢٠١١، ص٨٨)، وأسواقها مزدهرة إذ قدّرت إيراداتها آنذاك بحوالي نصف مليون درهم وهو رقم كبير مقارنة بالمدن الأخرى)الصيرفي، ١٩٨٣، ص٣٥)، وكان ذلك الازدهار التجاري ناتج عن التوافقات العثمانية – البرتغالية في سبيل تفعيل التجارة عن طريق البصرة باتجاه الخليج العربي (بايبر، ٢٠١٦، ص١٢٤ – ١٣٠).

وصف بيدرو تخسيرا التمور في البصرة بأن نوعيتها ممتازة وتصدر لمختلف المناطق(الكنجري، ٢٠٠١، ص١٤٦) ولا سيما إلى فارس وهرمز، وفيها إنتاج وفير من الحبوب والفواكه والخضراوات، ويربي أهلها الماشية، وذكر بيدرو تخسيرا اهتمام الأفراد بالملكيات الزراعية المروية (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٧٦ – ٧٨)، التي تنتج مختلف الأصناف من حبوب وقطن وخضار وفواكه (الكنجري، ٢٠٠١، ص١٤٨ – ١٤٩)، فضلًا عن وجود نشاطات حرفية في المدينة وليست التجارة وحدها ما يجعلها مزدهرة بل الزراعة المحيطة بها التي تنعش سوقها، كذلك عملية بيع الحيوانات ولا سيما الخراف التي يعتمد السكان عليها في غذائهم (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٧٨– ٧٩)، وكانت الحركة التجارية من جهة الخليج نشطة إذ وجد فيها آنذاك مختلف البضائع القادمة من الهند (الكنجري، ٢٠٠١، ص١٤٣)، أما النقد فهو متوافر بالعملات المختلفة من فضية وذهبية ونحاسية، وأشار إلى أن العملة النحاسية أكثر إتقانًا في صناعتها من الفضية (Teixeira,1902, P ٣٠، تخسيرا، ١٩٩٦، ص٧٧).

ومن الأشياء التي ذكرها في وصفه لمدينة البصرة كانت الحمامات العامة والنظافة فيها وأهميتها للرجال والنساء في البصرة، وكذلك يصف المنازل المتهدمة في البصرة التي لم تجري صيانتها منذ (٢٠٠) عام وفق وصفه(تخسيرا، ١٩٩٦، ص٧٧)، وكذلك تحدّث عن

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

مناخها الحار ويعتمد السكان على الدواب في تنقلاتهم، ولكثرة أعدادها فقد دخلت ضمن قائمة السلع المُباعة إلى هرمز والهند (تخسيرا، ١٩٩٦، ص٧٦ – ٧٧).

نتائج الدراسة وخاتمتها:

١- نجد مما سبق اختلاف دوافع دوراتي باربروزا عن دوافع بيدرو تخسيرا في رحلاتهم، فالأول ذهب كموظف إداري طموح، وأراد تحقيق مكاسب شخصية، في حين الثاني ذهب كجزء من الحملات البرتغالية لكن هدفه كتابة التاريخ في رحلته الأولى للشرق واستعادة أمواله في الرحلة الثانية، أما القواسم المشتركة فكلاهما تعلما لغة جديدة ليتمكنوا من تحقيق أهداف رحلاتهم، وكان لديهم الإصرار على تلك الدوافع فقضى كل منهما أكثر من ١٦ عامًا من الترحال.

٢- نجد أن الطريق الذي سلكه دوراتي باربروزا نحو الخليج هو ذاته الطريق الذي سلكه بيدرو تخسيرا حتى وصولهما إلى هرمز، ودوراتي باربروزا كتب عن كل ما صادفه من مدن وبلدات وقلاع، في حين لم يكتب بيدرو تخسيرا شيئاً تقريباً إذ ركّز كتاباته على مناطق الشرق من الخليج العربي والبصرة والبحرين، ويعود ذلك إلى أن هدف دوراتي باربروزا كان تحقيق الشهرة فيما يكتب ويصف، في حين كان هدف بيدرو تخسيرا خلال مروره من سواحل عُمان وحتى بقائه في هرمز أن يدوّن تاريخ فارس، في حين كانت رحلته الثانية إلى الشرق والرابعة إلى الخليج العربي رحلة عبور كتب فيها عن معاناته في رحلته بطريقة وصف تختلف تمامًا عما كتبه دوراتي باربروزا، ونجد أن الاختلاف الجوهري بين رحلة دوراتي باربروزا ورحلة بيدرو تخسيرا الأخيرة أن بيدرو تخسيرا عبر الخليج وكتب عنه في حين دوراتي باربروزا لم يبحر فيه وحاول أن يكتب عنه، كذلك التزم دوراتي باربروزا في رحلته بالأساطيل البرتغالية، في حين غامر بيدرو تخسيرا باستئجار سفينة صغيرة والإبحار فيها لمناطق خارج الاحتلال البرتغالي.

٣- أن وصف دوراتي باربروزا للمناطق كان على قسمين الأول ما شاهده وهو قليل باستثناء مدينة هرمز، والثاني هو ما سمعه من الناس ولا سيما التجار الذين كانوا يتجمعون في هرمز، وذلك يضعف من أهمية كتاباته عن بعض المناطق في الخليج العربي ولا سيما عندما أحدث في كتاباته تداخلاً بين شرق الخليج وغربه، في حين لم يكتب بيدرو تخسيرا سوى ما شاهده وعاينه.

٤- نستطيع القول أن بيدرو تخسيرا كتب كمؤرخ للمنطقة في حين كتب دوراتي باربروزا ملاحظات لا يمكن عدها تأريخًا حقيقيًّا.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

٥- كذلك ركّز بيدرو تخسيرا في كتاباته على أبرز العوامل الاقتصادية في الخليج كاللؤلؤ والزراعة وصيد الأسماك، في حين حاول دوراتي باربروزا وصف المناطق جغرافيًا منفصلة عن بعضها فحسب.

٦- أن دوافع الرحالة كانت مختلفة عن بعضهما، وكذلك المدة الزمنية إذ كان الفارق بين الرحلات (٦٠) عاماً، كان فيه كثير من الأمور قد تبدلت.

٧- نلحظ تلقي دوراتي باربروزا دعم من الدوق الذي يخدم عنده ومن عمه، لا نجد لدى بيدرو تخسيرا ذو الخلفية اليهودية أحد يدعمه، فكانت رحلة دوراتي باربروزا هادئة ومستقرة، وكانت رحلات بيدرو تخسيرا أكثر صعوبة، لذلك فإن ما قدمه بيدرو تخسيرا تأريخيّاً يبقى أصح مما قدمه دوراتي باربروزا ولا سيما فيما يتعلق بشواطئ الخليج العربي الشرقية وجنوب بلاد الرافدين.

٨- كانت اهتمامات دوراتي باربروزا تتركز على مدينة هرمز، وهي المدينة التي ذكرها المؤرخون آنذاك باستطردا لأنها عاصمة مملكة، في حين تحدث بيدرو تخسيرا عن مناطق شرق الخليج العربي بدقة، وعن جنوب بلاد الرافدين مثل سراج وشط العرب والبصرة بمعلومات مهمة جدًّا جعلت من كتاباته تتميز بالصدق والعفوية.

٩- نجد أن دوراتي باربروزا كان مُحابيًا للبرتغاليين، في وجودهم بالخليج العربي، لأنه يعمل معهم في حين تتالت الانتقادات من بيدرو تخسيرا لسياسة البرتغاليين وعرض الواقع الذي شهده ورآه من دون مجاملات وهذا عنصر مهم في تأريخ الأحداث.

١٠- وأخيرًا فإن التباين والاختلاف بين الرحلات المدروسة يُكمل بعضه بعضًا في دراسة أوسع مساحة جغرافية من الخليج العربي، إذ لا يمكننا إهمال ما كتبه دوراتي باربروزا حتى ولو كان نقلًا عما سمعه في ظل شح المصادر في تلك الفترة.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

الملاحق:

ملحق (١)

تبيّن الخريطة المناطق التي سلكتها الرحلات قبالة الخليج العربي وداخله:[٨]

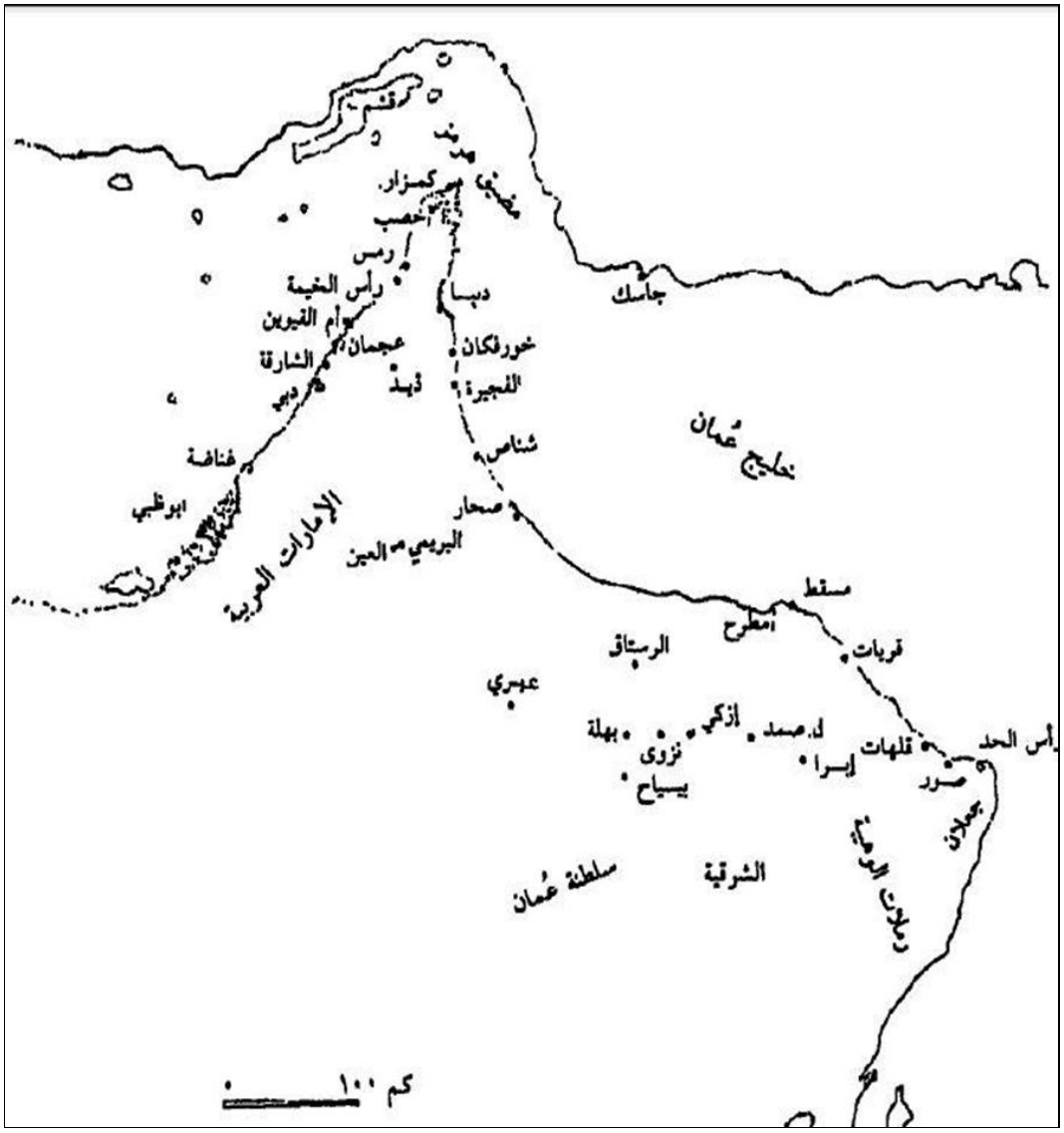

[٨] خوري والتدمري، سلطنة هرمز العربية - سيطرة سلطنة هرمز العربية على الخليج العربي، مجلد٢، مرجع سابق، ص٦٤.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

ملحق (٢)

موقع جزيرة هرمز وبداية الطريق البحري الذي سلكه بيدرو تخسيرا:[٩]

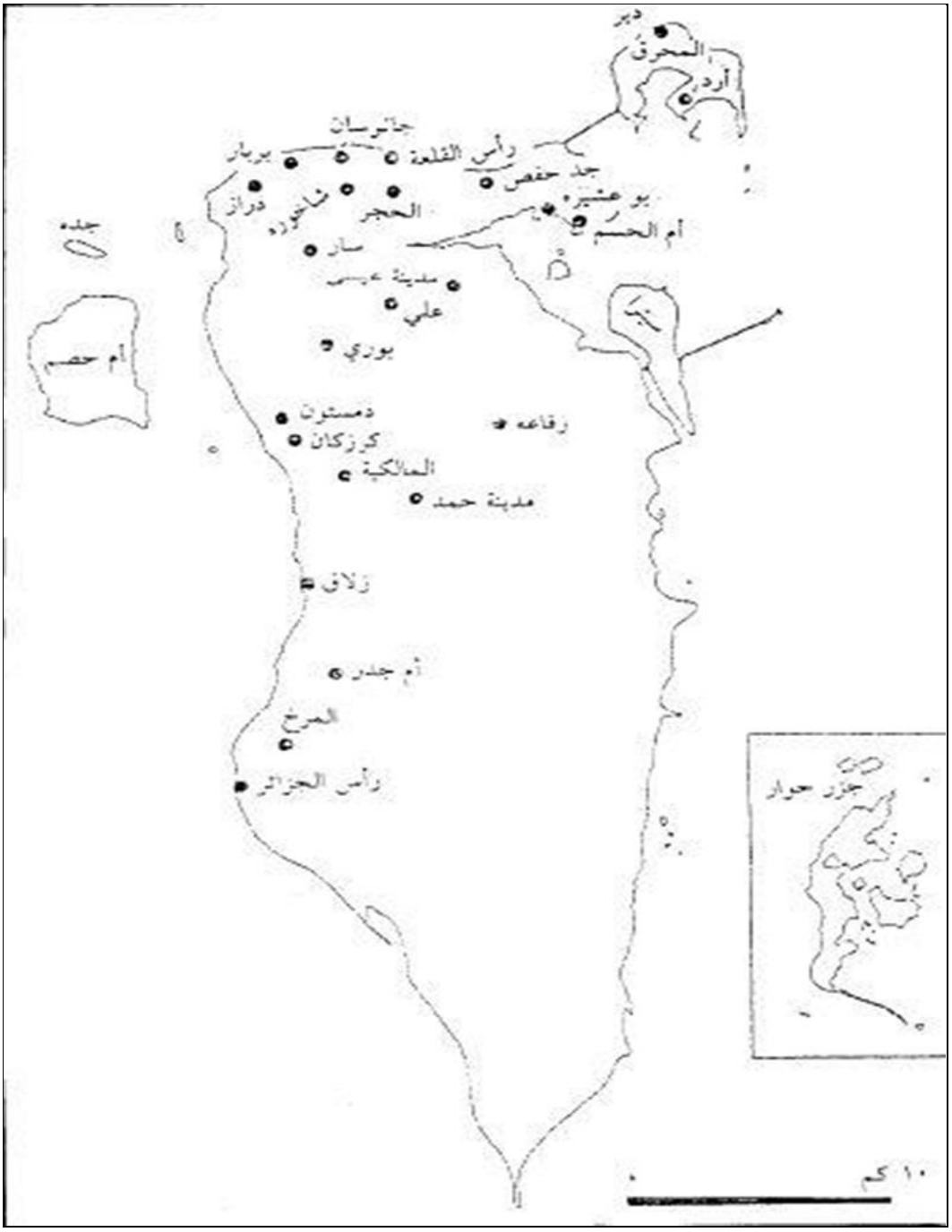

[٩] خوري والتدمري، سلطنة هرمز العربية - سيطرة سلطنة هرمز العربية على الخليج العربي، مجلد٢، مرجع سابق، ص١٢.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

ملحق (٣)

القرى في البحرين وتوزعها على الجزيرة[١٠]:

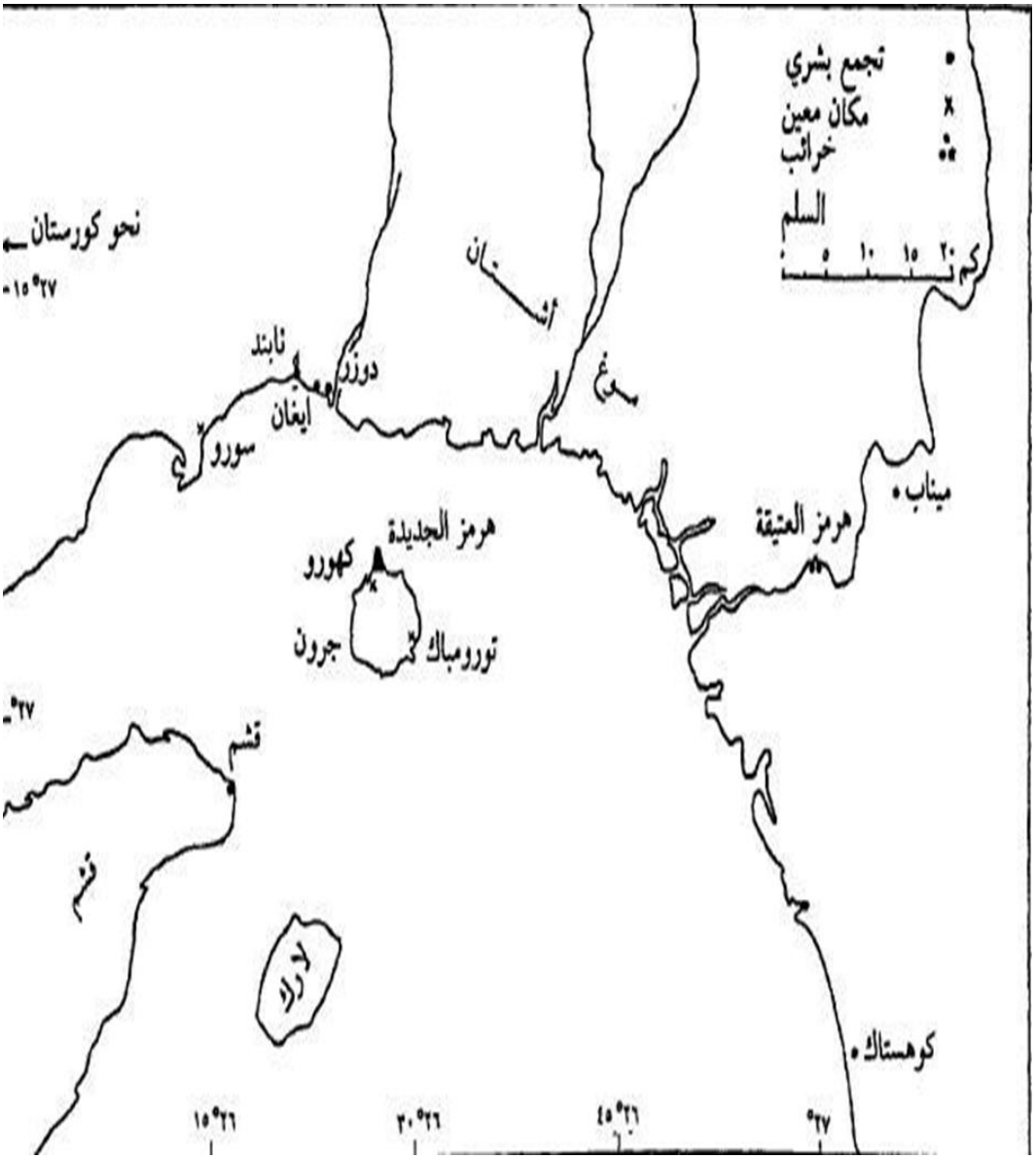

[١٠] خوري والتدمري، سلطنة هرمز العربية - سيطرة سلطنة هرمز العربية على الخليج العربي، مجلد١، مرجع سابق، ص١٨٣.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

ملحق الصور:

صورة لدوراتي باربروزا[١١]

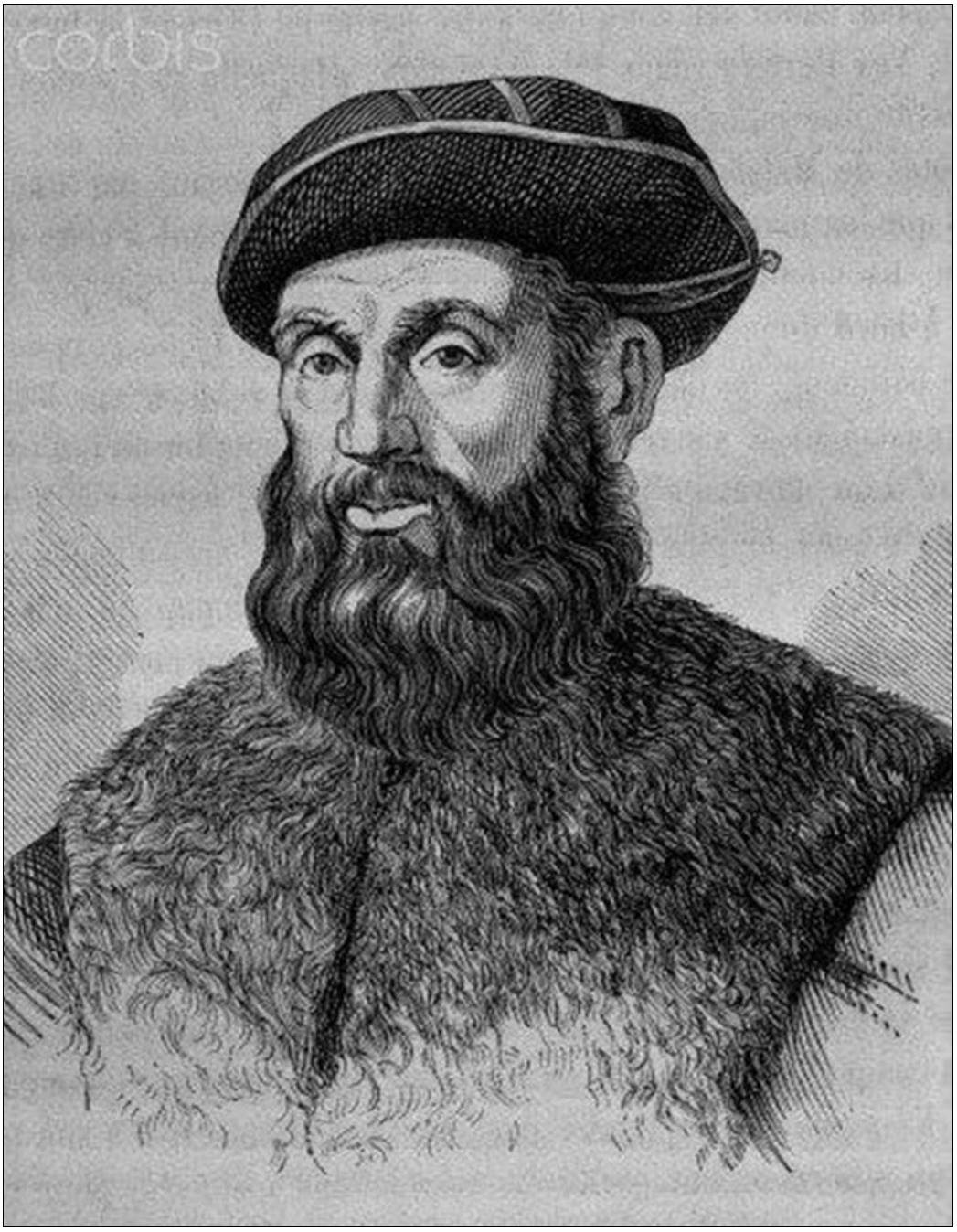

(11) https://www.facebook.com/photo/?fbid=1629896363701228&set=pch.1629897167034481

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

صورة لبيدرو تخسيرا [١٢]

[١٢] غازي، الرحالة الغربيون والإمارات العربية المتحدة، مرجع سابق، ص ٩٥.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر العربية:

١. اندرادي، روي فيريرا، يوم سقطت هرمز – مذكرات القائد البحري روي فيريرا اندرادي، ترجمة: عيسى أمين، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، المنامة، ١٩٩٦.

٢. تخسيرا، بيدرو، تاريخ الخليج والبحر الأحمر في اسفار بيدرو بيدرو تخسيرا، ترجمة: عيسى أمين، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، البحرين، ١٩٩٦.

٣. حمداني، طارق، الرحالة البرتغاليون في الخليج العربي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، مجموعة أبحاث من ندوة رأس الخيمة التاريخية الأولى، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، سلسلة الندوات التاريخية، ٢٠٠١.

٤. القاسمي، سلطان بن محمد، رحلة بالغة الأهمية – المخطوطة الكاملة لكتاب دوراتي باربروزا ١٥٦٥م، منشورات القاسمي، الشارقة، ٢٠١٧.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

1. Barbosa, Duarte, **The Book of Duarte Barbosa**, trans. Mansel Dames, Vol. 1, The Hakluyt society, London, 1891.
2. Barbosa, Duarte, **The Book of Duarte Barbosa**, trans. Mansel Dames, Vol. 2, The Hakluyt society, London, 1891.
3. Teixeira, Pedro, **The Travels of Pedro Teixeira with his Kings of Harmuz and extracts from his Kings of Persia**, trans. William F. Sinclair, Printed for the Hakluyt Society, London, 1902.

ثالثاً: المراجع العربية والمترجمة:

٥. أوبان، جان، مملكة هرمز، ترجمة: الأرشيف الوطني، وزارة شؤون الرئاسة والأرشيف الوطني، أبوظبي، ط٢، ٢٠١٩.

٦. إيبش، أحمد، الخليج العربي من خلال نصوص الرحالين والمؤرخين البرتغاليين، ج٣، دائرة الثقافة والسياحة، أبوظبي، ٢٠١٩.

٧. باربروزا، دوراتي، تجوال في المحيط الهندي وسواحل الجزيرة والخليج العربي في مطلع القرن السادس عشر الميلادي للمكتشف البرتغالي دوراتي باربروزا، ترجمة: أحمد إيبش، وزارة شؤون الرئاسة – الأرشيف الوطني، أبوظبي، ٢٠١٧.

٨. بشمي، إبراهيم، مملكة هرمز.. الفقاعة الذهبية، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر، المنامة، ١٩٩٤.

٩. تومانوفيتش، نتاليا، الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، ترجمة: سمير سطاس، تقديم ومراجعة: قسم الدراسات والنشر والشؤون الثقافية بالمركز، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط١، ٢٠٠٦.

١٠. حنظل، فالح، العرب والبرتغال في التاريخ، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، ١٩٩٧.

١١. خوري، إبراهيم والتدمري، أحمد جلال، سلطنة هرمز العربية – سيطرة سلطنة هرمز العربية على الخليج العربي، مجلد١، كتاب الأبحاث١٠، مطبعة رأس الخيمة الوطنية، رأس الخيمة، ١٩٩٩.

١٢. خوري، إبراهيم والتدمري، أحمد جلال، سلطنة هرمز العربية – سيطرة سلطنة هرمز العربية على الخليج العربي، مجلد٢، كتاب الأبحاث١١، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ٢٠٠٠.
١٣. الدرورة، علي بن إبراهيم، تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف ١٥٢١ – ١٥٧٢، المجمع الثقافي، أبوظبي، ٢٠٠١.
١٤. السعدون، خالد، مختصر التاريخ السياسي للخليج العربي منذ أقدم حضاراته إلى سنة ١٩٧١، جداول للنشر والتوزيع، ٢٠١٢.
١٥. الصيرفي، نوال، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٨٣.
١٦. عقيل، مصطفى، مملكة هرمز عاصمة التجارة في الخليج العربي من الاحتلال البرتغالي إلى التحرير الفارسي ١٥٠٧ – ١٦٢٢، ندوة الوجود البرتغالي في الخليج العربي، الكويت، ٢٠١٦.
١٧. عوض، عبد العزيز، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ج١، دار الجبل ومكتبة الرائد العلمية، بيروت وعمّان، ط١، ١٩٩١.
١٨. غازي، علي عفيفي، الرحالة الغربيون والإمارات العربية المتحدة، نادري تراث الإمارات – مركز زايد للدراسات والبحوث، أبو ظبي، ط١، ٢٠٢١.
١٩. الموسوعة البرتغالية، تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي، ترجمة: عيسى أمين، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، المنامة، ١٩٧١.
٢٠. النغيمشي، عبد الله، موانئ المملكة العربية السعودية على الخليج العربي – دراسة في جغرافية الموانئ، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة: ٩٠، الرياض، ١٩٩٢.

رابعاً: الدوريات والمقالات:

٢١. بايير، أونر، الوجود البرتغالي في الخليج في القرن الـ١٦ من خلال وثائق الأرشيف العثماني، ندوة الوجود البرتغالي في الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، الكويت، ٢٠١٦.
٢٢. الربيعي، إسماعيل، السيطرة البرتغالية وأثرها على النشاط البحري في منطقة الخليج العربي ١٩٠٧ – ١٥٢١، مجلة أمارباك، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، المجلد الثاني، العدد٣، ٢٠١١.
٢٣. العطية، فوزية، الأوضاع الاجتماعية في الخليج العربي إبان الغزو البرتغالي، ندوة رأس الخيمة التاريخية الأولى، رأس الخيمة، ٢٠٠١.
٢٤. الكنجري، الحركة التجارية لمدينة البصرة من خلال قانون نامه ولاية البصرة لعام ٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م، ندوة رأس الخيمة التاريخية الأولى، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ٢٠٠١.
٢٥. المريطب، منال، التنافس الأوروبي حول منطقة الخليج في مطلع العصور الحديثة، دورية كان التاريخية، العدد٨، يونيو ٢٠١٠.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

References

1. Oban, Jan, The Kingdom of Hormuz, translated by: The National Archives, Ministry of Presidential Affairs and the National Archives, Abu Dhabi, 2nd ed., 2019.
2. Ibish, Ahmed, The Arabian Gulf Through the Texts of Portuguese Travelers and Historians, Vol. 3, Department of Culture and Tourism, Abu Dhabi, 2019.
3. Barbarossa, Durate, Travels in the Indian Ocean, the Coasts of the Arabian Peninsula, and the Arabian Gulf at the Beginning of the Sixteenth Century AD by the Portuguese Explorer Durate Barbarossa, translated by: Ahmed Ibish, Ministry of Presidential Affairs - National Archives, Abu Dhabi, 2017.
4. Bashmi, Ibrahim, The Kingdom of Hormuz... The Golden Bubble, Al Ayam Press, Printing, and Publishing Establishment, Manama, 1994.
5. Tomanovic, Natalia, The European Countries in the Arabian Gulf from the Sixteenth to the Nineteenth Centuries, translated by: Samir Stas, presented and reviewed by: The Department of Studies, Publishing, and Cultural Affairs at the Center, Al Majid Society for Culture and Heritage, Dubai, 1st ed., 2006.
6. Handhal, Faleh Arabs and Portugal in History, Cultural Foundation Publications, Abu Dhabi, 1997.
7. Khoury, Ibrahim and Al-Tadmuri, Ahmed Jalal, The Arab Sultanate of Hormuz - The Arab Sultanate of Hormuz's Control over the Arabian Gulf, Volume 1, Research Book 10, Ras Al Khaimah National Press, Ras Al Khaimah, 1999.
8. Khoury, Ibrahim and Al-Tadmuri, Ahmed Jalal, The Arab Sultanate of Hormuz - The Arab Sultanate of Hormuz's Control over the Arabian Gulf, Volume 2, Research Book 11, Center for Studies and Documentation, Ras Al Khaimah, 2000.
9. Al-Durrah, Ali bin Ibrahim, History of the Portuguese Occupation of Qatif 1521-1572, Cultural Foundation, Abu Dhabi, 2001.
10. Al-Saadoun, Khalid, A Brief Political History of the Arabian Gulf from Its Earliest Civilizations to 1971, Jadawel Publishing and Distribution, 2012.
11. Al-Sayrafi, Nawal, Portuguese Influence in the Arabian Gulf in the Tenth Century AH/Sixteenth Century AD, King Abdulaziz Foundation Publications, Riyadh 1983.
12. Aqil, Mustafa, The Kingdom of Hormuz: Capital of Trade in the Arabian Gulf from the Portuguese Occupation to the Persian Liberation 1507-1622, Symposium on the Portuguese Presence in the Arabian Gulf, Kuwait, 2016.
13. Awad, Abdul Aziz, Studies in the History of the Modern Arabian Gulf, Vol. 1, Dar Al-Jabal and Al-Raed Scientific Library, Beirut and Amman, 1st ed., 1991.
14. Ghazi, Ali Afifi, Western Travelers and the United Arab Emirates, Nadiri Turath Al-Emirati - Zayed Center for Studies and Research, Abu Dhabi, 1st ed., 2021.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

15. The Portuguese Encyclopedia, History of the Portuguese in the Arabian Gulf, translated by Issa Amin, Al-Ayyam Press, Printing, Publishing, and Distribution Foundation, Manama, 1971.
16. Al-Nughaimeshi, Abdullah, Ports of the Kingdom of Saudi Arabia on the Arabian Gulf - A Study in Port Geography, Publications of the National Festival for Heritage and Culture: 90, Riyadh, 1992.
17. Fourth: Periodicals and Articles:
18. Bayer, Honor, The Portuguese Presence in the Gulf in the 16th Century Through Ottoman Archives Documents, Symposium on the Portuguese Presence in the Arabian Gulf and the Arabian Peninsula, Kuwait, 2016.
19. Al-Rubaie, Ismail, Portuguese Control and Its Impact on Maritime Activity in the Arabian Gulf Region 1521-1907, Amarabac Journal, Arab American Academy of Science and Technology, Volume 2, Issue 3, 2011.
20. Al-Attiyah, Fawzia, Social Conditions in the Arabian Gulf During the Portuguese Invasion, First Ras Al Khaimah Historical Symposium, Ras Al Khaimah, 2001.
21. Al-Kanjari, Commercial Activity in the City of Basra Through the Basra State Law of 959 AH/1552 AD, First Ras Al Khaimah Historical Symposium, Center for Studies and Documentation, Ras Al Khaimah, 2001.
22. Al-Muraiteb, Manal, European Competition over the Gulf Region at the Beginning of the Modern Era, Kan Historical Journal, Issue 8, June 2010.